بمحاربتك ومقاتلتك بنفسه وبجنوده وبخيله وبرجاله
ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز
فيضطرك الحال لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك العزيز المتين
فيرجع منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه
في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الشيطان
الى تعلقك بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود
كذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة الشهوة العاجل
فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة ايضا وان كانت اعداء الاعداء
لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبامرها يعملون فيما يعود
بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقطع هواها
الممتزج بلحمك ودمك الا من هو اقوى منك وليس لك الا
مولاك فيقع دعاك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف
بالصدق عليه وكان المؤلف رحمه الله قصد في هذه الكلمات
لذكر الاعداء الاربعة المذكورين في قول الشاعر

إنّي بُلِيتُ بأربعٍ يرمونني بالنَّبْلِ عن قوسٍ لها توتيرُ
إبليسُ والدُّنيا ونفسي والهوى يا ربِّ أنتَ على الخلاصِ قديرُ

ويبيّن كلامه وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها
وتضمن ذلك بيان ان تلك العداوة وان عظمت من اعظم
الوسايل الى اسنى المطالب لمن اريد بذلك ووفق له

والتي

٢٣١

والتي جميع ذلك في الباب بديعة مختصرة وجيزة محررة
فاعرف قدر هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل
وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر
حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك
رفعة فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة
لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا
موجودا وينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة
لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي
اثبته العبد لنفسه لا ينتفي عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا
فان لفظة التواضع قد ترد لذلك فان التواضع تفاعل من الضعة
واكثر باب التفاعل موضوع الاظهار وليست كذلك كالتقادم و
التكاسر والتعارج والتمارض وغير ذلك فلفظة التواضع لا يقتضي
[illegible] الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب
من العبد ان يتحقق بذلك حقيقة الاظهار فقط بان ينتفي عنه
وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرا العبد من الكبر ولا يكون له
وجود البتة ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع
بل المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع هذا بيان
اخر لما ذكر من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع
لنفسه لانه يشهد من ضعف قدرته وضعة ذكره وذاته

Copyright © King Saud University